التعليق على

الأصول الستة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

الأصل الأول
الإخـــلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

❐ **قَال المصنِّفُ:**

مِنْ أَعجَب العُجَابِ، وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ(١)، بَيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ(٢) فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ(٣).

(١) **ذكر الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن سليمان الجابري -حفظه الله- في (ص٦) من كتابه «تنبيه ذوي العقول السليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة -تعريف الأصول»:**
قوله: «الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة: ما يُبنىٰ عليه غيره، ومنه الأساس، أصل البناء، والجذع: أصل الشجرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].
والمراد هنا: قواعد مستنبطة من الكتاب والسُّنَّة للدلالة علىٰ كمال حكمة الله وقدرته، وكمال هديه وتشريعه، وهذه القواعد الست استنبطها الشيخ من الكتاب والسُّنَّة».اهـ.

(٢) **قال شيخنا أحمد النجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العَاميُّ: هو مَنْ لا يقرأ، ولا يكتب».

(٣) إن دلَّ هذا فإنما يدل علىٰ بُعدهم عن الله، وهجرهم للعمل بكتابه تعالىٰ، وسُنَّة رسولنا محمد ﷺ إلَّا مَنْ هداه الله، فمَنْ رزقه الله ذكاءً وعقلًا واعيًا، ولم يرزقه الله زكاءً في أعماله، =

الأصلُ الأوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَام يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَر لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

التعليق

❁ **قَولُه: «إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَام يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ»:**

أقول: الإخلاص لله هو القاعدة العظيمة من قواعد الدِّين الَّتي ينبني عليها، ويتلوه المتابعةُ، فالدِّينُ يقوم علىٰ هذين الأصلين:

١- إخلاصُ الدِّين لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

٢- متابعةُ رسوله ﷺ، فلا يُقبَل عملٌ إلَّا بتوفُّرِ هذين الشَّرطين فيه، فمَنْ

=

فهذا ما عرف حقَّ الله عليه، وكأنَّ هذا المُعْرِض عن العمل الصَّالح ما سمع قول ربِّه تعالىٰ وهو يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠]؛ إذ العبرة بالعمل، لا بكثرة العلم والذكاء، والله أعلم.

عَمِلَ عملًا لم يُؤَسَّسْ علىٰ هذين الأصلين، فإنَّ عمله يكون مردودًا عليه، حتَّىٰ ولو أخلَّ بواحدٍ منهما؛ فمَنْ أخلص لله ولكنَّه لم يتابع رسولَ الله ﷺ، فإنَّ عمله باطلٌ؛ لعدم المتابعة، ومَنْ تابع الرَّسول ﷺ فقط ولم يخلص لله، فإنَّ عمله باطلٌ أيضًا؛ لعدم الإخلاص.

فمن الأدلَّة على الإخلاص: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

والأدلَّة على هذا كثيرةٌ، وأكثر السُّوَر المكيَّة آياتها في حوارٍ مع المشركين، وبيان بطلان دينهم، والاستدلال علىٰ إبطاله، وبيان أنَّ معبوديهم -وهي الآلهة الَّتي يعبدونها- لا تملك شيئًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

وقوله في آيةٍ أخرى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣]، وبيان عجز هذه الآلهة وضعفها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا

وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

وفي أثناء ذلك يُبيِّن الله عَزَّوَجَلَّ قدرته في مخلوقاته الَّتي خَلَقها، وآياته الَّتي أودعها في هذا الكون ليدُلَّك علىٰ كمالِهِ وقدرتِهِ، وأنَّه هو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للأُلُوهيَّة دون سواه، وأنَّه هو الَّذي ينبغي أن يُعبَد وأن تُخْلَصَ له العبادةُ لما له علىٰ النَّاس من فضلٍ بخلقهم وإيجادهم، وما يُسْدي لهم من النِّعم، وما يتفضَّل به عليهم من الرِّزْق، فهو المستحقُّ للعُبُوديَّة دون سواه؛ والكلام في هذا يطول لو أردنا أن نسلك شيئًا من التَّقصِّي، وما ذُكر فيه الكفاية.

وأمَّا المتابعة؛ فأدلَّتها كثيرةٌ أيضًا من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؛ فمنها ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قالوا: يا رسول الله، ومَنْ يأبىٰ؟ قال: «**مَنْ أطاعني دخل الجنَّة، ومَنْ عصاني فقَدْ أبىٰ**»(١).

أمَّا قوله: «**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظْهَر لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ**».

المقصود بهذا الكلام: أنَّه لمَّا أُدخل في الدِّين ما أُدْخِل من البدع، كبدع الصُّوفيَّة، وبدع التَّشيُّع، وما إلىٰ ذلك من البدع؛ أظهر الشَّيْطان لكثيرٍ من النَّاس أنَّ إخلاص العبادة لله، وعدم دعاء أولئك الصَّالحين -في زعمهم- يكون فيه تَنقُّصٌ للصَّالحين، وتقصيرٌ في حقوقهم، وأنَّ مَنْ دعا أولئك الصَّالحين، واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، فقَدْ عرف حقَّهم؛ علمًا بأنَّ الله يمنع ويأبىٰ أن يُشْرك معه غيره في شيءٍ من العبادة؛ حتَّىٰ ولو كان مَلَكًا مُقرَّبًا، أو نبيًّا مرسلًا.

وقَدْ فَصَّل الله عزوجل في بعض آياته بين الحقِّ المشترك بينه وبين رسوله، والحقِّ الخالص له، فقال جل من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

فجعل الطَّاعة مشتركةً بينه وبين الرَّسول، وجعل الخشية والاتِّقاء له

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

وحده، وقَدْ قال الله ﷻ عن الرَّسول ﷺ الَّذي هو أكرم الخَلْق عليه، وأعلاهم عنده منزلةً، وأفضلهم عنده مقامًا: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

وبهذا يتبيَّن أنَّ قولهم هذا قولٌ باطلٌ، وخطأٌ فاحشٌ لا يجوز لأحدٍ أن يعتقده، وأنَّ المُوحِّدين لم يهضموا الصَّالحين حقَّهم؛ بل يحبُّونهم لله إِنْ كانوا صالحين علىٰ الحقيقة.

ولكنَّهم لا يُعطونهم شيئًا من حقِّ الله ﷻ؛ لعلمهم أنَّ ذلك مُوجبٌ لسخطه تعالىٰ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ لمَنْ قال له: أنت سَيِّدنا وابن سَيِّدنا: «**يا أيُّها النَّاس، قولوا بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشَّيطانُ، أنا مُحمَّد بن عبد الله ورسول الله، واللهِ، ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله ﷻ**»(١).

وقال لمَنْ قال له: يا رسول الله، جَهِدَتِ الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونَهكَتِ الأموالُ(٢)، وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنَّا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: «**وَيْحَك! أتدري ما تقولُ؟**» وسَبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يُسبِّحُ حتَّىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: «**وَيْحَكَ! إنَّه لا يُستشفع بالله علىٰ أحدٍ من خَلْقه؛ شأنُ الله أعظم من ذلك.**

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٩)، (١٣٦٤١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٩٧).

(٢) أي: نقصت، أو فنيت.

ويحك! أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه علىٰ سماواته هكذا -وقال بأصابعه- **مثل القُبة عليه، وإنه لَيَئِطُّ به أطيطَ الرَّحْل بالرَّاكب»**[1].

وقَدْ تَبيَّن من هذا أنَّ مَنْ يَزْعم أنَّ تحقيق التَّوحيد، وإخلاصه لله تعالىٰ تَنقُّصٌ بالصَّالحين، فإنَّ قوله هذا باطلٌ، وإنَّه ضالٌّ من الضُّلالِ يجب علىٰ المسلمين أن يحذروه علىٰ دينهم.

وبالله التَّوفيق.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف أبي داود» (١٠١٧).

الأصل الثاني
الأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف

□ **الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِماعِ فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيهِ، فبيَّنَ اللهُ هَذا بَيانًا شَافيًا تَفْهمُهُ العوامُّ، ونَهانَا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبلنَا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أنهُ أمَرَ المُسْلِمينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، ونَهاهُمْ عَنِ التفرُّقِ فِيهِ.**

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلك، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَىٰ أنَّ الافْتِرَاقَ فِي أصُولِ الدِّينِ وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّينِ لا يقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أو مَجنُونٌ.

التعليق

لقَدْ قَرَنَ اللهُ ﷻ الأمر بالاجتماع في الدِّين، وعدم التَّفرُّق فيه بالعبادة، وهو من العبادة.

فقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

□ ومفاد هاتين الآيتين ما يلي:

١- هو أنَّ المعبود هو الله، فلا تجوزُ العبادة لغيره.

٢- وكذلك لا بدَّ أن تكون الأُمَّة واحدةً مجتمعةً علىٰ هذا الهدف، وهو وحدانيَّة المعبود، وأنَّه هو الله وحده لا شريك له.

ووحدة الأُمَّة بأن تكون الأُمَّة واحدةً، آخذةً من ربِّها عن نبيِّها ﷺ الأوامر والنَّواهي؛ تَتلقَّىٰ عنه أوامره ونواهيه بواسطة رسوله ﷺ مِمَّا جاء في الكتاب والسُّنَّة فتعمل بها؛ ولهذا أخبر ﷻ أنَّ هذا الذي بَيَّنه لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ هو شرعُ كلِّ الأنبياء والأمم، وعلىٰ رأسهم أولو العزم، كما قال جلَّ من قائل: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٣].

فأخبر أنَّه وَصَّىٰ بذلك نوحًا أوَّلَ الرُّسل، ووَصَّىٰ به مُحمَّدًا ﷺ؛ وهو آخر الرُّسُل في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وَوَصَّىٰ به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ وهؤلاء الثَّلاثة هم الباقون من أولي العزم: إبراهيم الخليل، وموسىٰ الكليم، وعيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته الَّتي ألقاها إلىٰ مريم.

فقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: لله ﷻ؛ ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾: هذا أمرٌ بأن يكون الدِّين لله تجتمع علىٰ ذلك الأُمَّة؛ فإنْ حصل في ذلك اختلافٌ، فلتكن العودة إلىٰ الله ورسوله فيما حصل فيه الاختلاف، وعندئذٍ يُحَلُّ الاختلاف بما أمر الله به في قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ:١٠].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

ولقَدْ حضَّ الرَّسولُ ﷺ علىٰ الاجتماع، وعدم التَّفرُّق؛ بل إنَّه قضىٰ علىٰ كلِّ أسباب التَّفرُّق والاختلاف.

ومَنْ تأمَّل الأحكام الشَّرعيَّة يجد أنَّ الرَّسول ﷺ في تشريعاته الَّتي تلقَّاها من ربِّه لم يَدَعْ سببًا من الأسباب الَّتي تؤدِّي إلىٰ الاختلاف إلَّا وَحَسمه، امتثالًا لأمر الله حيث يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

۞ **قَولُه: «ويزيده وضوحًا ما وردت به السُّنَّة من العجب العجاب في ذلك»:**

أقول: الأدلَّة في السُّنَّة، منها قوله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلَّغها؛ فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفقه منه.**

ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ أئمَّة المسلمين، ولزومُ جماعتهم، فإنَّ الدَّعوة تحيط من ورائهم»[(١)].

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٠٤).

ومنها قوله ﷺ: «**مَنْ أتاكم وأمرُكُمْ جميعٌ علىٰ رجلٍ واحدٍ، يريد أن يَشقَّ عصاكم، أو يُفرِّق جماعتكم، فاقتلوه**»(١).

ومنها حديث: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرْقةً، وافترقت النَّصَارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فِرْقةً، وستفترق هذه الأُمَّة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فِرْقةً، كلُّها في النَّار إلَّا واحدةً**».

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هم الَّذين علىٰ مِثْل مَا أنا عَلَيْه وأصْحَابي**»(٢)، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة.

۞ **قَولُه**: «**ثمَّ صار الأمر إلىٰ الافتراق في أصول الدِّين وفروعه هو العلم والفقه في الدِّين، وصار الاجتماع في الدِّين لا يقوله إلَّا زنديقٌ أو مجنونٌ**»:

لعلَّ مقصود المُؤلِّف ما حصل بين المسلمين من الافتراق في أصول الدِّين وفروعه، فالافتراق في أصول الدِّين حصل كثيرًا: فمن (جهميَّة) إلىٰ (اعتزال) إلىٰ (قَدَريَّة) إلىٰ (مرجئة)، إلىٰ غير ذلك.

وكذلك الافتراق في الفروع: فمِنْ حنفيةٍ إلىٰ مَالكيَّةٍ إلىٰ شَافعيَّةٍ إلىٰ حنابلة وظاهريَّةٍ؛ وهذا الافتراق في الفقه الإسلاميِّ لا يُعدُّ افتراقًا، بل هو مجالٌ لتَنوُّع الأفهام واختلافها في المسائل الَّتي يَسُوغ فيها الاجتهاد، وليس هذا بعيبٍ،

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٤٨).

ولا نقصٍ؛ ولكن العيب والنَّقْص هو تَرْك الدَّليل لقول الإمام، هذا هو الَّذي يُذَمُّ صاحبه ويُلامُ.

ولعلَّ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ قصد إلىٰ هذا الاختلاف، وأنَّ كثيرًا من أهل زمنِهِ قَدْ ذهبوا إلىٰ أنَّ مَنْ ترك هذه المذاهب وأخذ بالدَّليل، اتَّهَموه بما وصف المُؤلِّف من الجنون والزَّنْدقة.

والزَّنْدقة[1] هي عدم الاكتراث بالدِّين، وعدم المبالاة به -والعياذ بالله-

وبالله التَّوفيق.



(١) قال في «القاموس المحيط» (ص٨٩١): «الزنديق -بالكسر- من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يُبطن الكفر ويظهر الإيمان».اهـ.

الأصل الثالث
السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية

□ الأَصلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ؛ شَرْعًا(١) وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ

(١) إن الله قد بيَّن لنا في كتابه، ووضَّح ﷺ لنا في سُنَّته وجوب طاعة السلطان فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ﷺ؛ فإن أمر السلطان بمعصيةٍ فلا سمع إذًا ولا طاعة، وهو ما بَيَّنه شيخنا من الأدلة علىٰ هذه المسألة عند قول المؤلف: «فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوهٍ من أنواع البيان شرعًا».

وأما قوله: «قدرًا»: فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ علىٰ الأمة الإسلامية؛ أفرادًا وشعوبًا حينما عادت وتعود إلىٰ كتاب ربها، وسُنَّة نبيها محمد ﷺ، وتعمل بهذين المصدرين المنزلين من عند الله تبارك وتعالىٰ، ومن تلك الأمور التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ: طاعة ولي الأمر بالمعروف، والاجتماع عليه، وعدم الخروج عليه بالقول والفعل، فإن الله قد وَعَدَ من فعل ذلك بالخيرية، والعزة، والتمكين في الأرض، والنصرة علىٰ الأعداء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠، ٤١].

وحينما تترك الأمة الإسلامية العمل بالكتاب والسُّنَّة وتتعبَّد بشيءٍ لم يأمر الله به، فإنه قد كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ بأن مَنْ كان هذا حاله، ومن ذلك عدم طاعة السلطان =

فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟

التعليق

سبق لنا أَنْ بيَّنَّا ما بيَّنه الله لعباده في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وفي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ:١٣].

=

والخروج عليه بأنواع الخروج، فإن الله إذا رأىٰ من عباده هذا يبتليهم بالتفرُّق والتمزُّق، ويجعل بأسهم بينهم، ويسود الفساد والبلاء بين أفرادها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فلنعتصم جميعًا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ولنجعل نصب أعيننا أن كل أمرٍ من الله أو من رسوله ﷺ بأنه أمر واجب الامتثال إلَّا ما دلَّت النصوص علىٰ أن هذا الأمر علىٰ سبيل الاستحباب، وأن نعتقد فيه اعتقادًا جازمًا لا مِرْيةَ فيه بأن فيه الخير، وبخلافه يحصل الشر، وأن كل نهي نهانا الله عنه في كتابه، أو نهانا عنه رسولنا محمد ﷺ في سُنَّته، فإنه نهي يحرم علينا الوقوع فيه إلَّا ما دلَّت الأدلة علىٰ أن النهي فيه علىٰ سبيل الكراهة والتنزيه؛ لأنا إذا وقعنا في النهي فسيحصل علينا الشر؛ إن عاجلًا وإن آجلًا.

فإن عُدنا -أيها المسلمون- إلىٰ الله عودةً صادقةً ظفرنا بسعادة الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة، وإِنْ تخلَّفنا، فإن الأمر علىٰ العكس من ذلك، والله المستعان.

وعرفنا مِنْ تلك الأدلَّة بأنَّ الله أمرنا أَنْ نعبدَ إلهًا واحدًا هو الله وحده لا شريك له، وأمرنا أن تكون أمَّتنا أمةً واحدةً.

□ فتبيَّن أنَّ الدِّين يقوم على أصلين:

١- أنَّ الإله واحدٌ، وهو المُتعبَّد له بأنواع العبادات، وهو الله دون سواه.

٢- أنَّ الأُمَّة يجب أن تكون واحدةً، وألَّا تتفرَّق في الدِّين، ويقول المُؤلِّف هنا: «**إنَّ من تمام الاجتماع السَّمع والطَّاعة لمَنْ تأمَّر علينا، ولو كان عبدًا حبشيًّا**»: سواء كان برًّا أو فاجرًا، وسواءً كان مُطيعًا أو عاصيًا؛ وطاعة مَنْ ولَّاه الله أَمْرَنَا واجبةٌ علينا، وهو من تمام اجتماع الكلمة؛ وقَدْ وردت في ذلك الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

□ وأمَّا الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرةٌ:

۞ **منها:** أَمْر النَّبيِّ ﷺ بالسَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وعدم الخروج عليه، فعن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السَّمْع والطَّاعة في مَنْشطنا ومَكْرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأَثَرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، إلَّا أَنْ تَرَوا كُفرًا بَوَاحًا عندكم من الله فيه برهانٌ»(١).

۞ **ومنها:** حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رأىٰ من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنَّه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلَّا مات ميتةً جاهليَّةً**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

۞ **ومنها:** حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه: «**خِيار أَئمَّتكم الَّذين تُحبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشرار أئمَّتكم الَّذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتَلْعَنُونَهُم ويَلْعَنُونكُم**».

قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسَّيْف؟ فقال: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُم الصَّلاة، وإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاتِكُم شَيْئًا تَكْرَهُونَه، فاكْرَهُوا عَمَلَه، ولا تَنْزِعُوا يدًا مِنْ طَاعةٍ**»(١).

۞ **ومنها:** حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خلع يدًا من طاعةٍ، لقي الله يوم القِيَامَة لا حُجَّة لَهُ؛ ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ في عُنُقِه بَيْعةٌ، مات ميتةً جَاهليَّةً**»(٢).

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُم عبدٌ حَبشيٌّ كأنَّ رأسه زَبِيبَةٌ**»(٣).

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ، يأمر الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ بطاعة السُّلْطان وعدم الخروج عليه.

بيَّن الله هذا بيانًا شافيًا في مواضعَ كثيرةٍ، فلا داعي للإطالة فيها: فمَنْ كان مؤمنًا بالله، ومؤمنًا برسول الله ﷺ، فَلْيتقِ الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعةٍ؛ فإنَّ الخروج يعمُّ الخروج بالقول، والخروج بالفعل، والمنازعةُ تعمُّ المنازعةَ في القول، والمنازعة في الفعل، وبالله التَّوفيق.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

الأصل الرابع
بيان العلم والعلماء وبيان من تشبه بهم وليس منهم

☐ الأصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ(١) وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ

(١) **المراد بالعلم**: هو العلم الشرعي، وهو ما قاله الله في كتابه، وما قاله رسول الله ﷺ في سُنَّته، وما استنبطه أهل العلم منهما من الأحكام الشرعيَّة، والتي ينبني عليهما حفظ الدين والمال والعرض والعقل والنسل. والعلماء هم العارفون بذلك، العاملون بما فيهما، والداعون إليهما، الصابرون علىٰ الأذىٰ فيهما.

ويُسمَّون أيضًا بالفقهاء، وإليك -أخي القارئ الكريم- بعضَ النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة الدالة علىٰ فضل العلم والعلماء، والفقه والفقهاء لتكون لك فيها أعظم واعظٍ وأجلُّ حافزٍ؛ لتسلك طريقهم وتحتذي بهم، وعلىٰ رأس أولئك العلماء: علماء الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم في كل زمان ومكان.

وها هي النصوص غضة طرية -زادك الله توفيقًا وهدًىٰ- قال الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

وقال جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وقد جاء في الحديث عن قيس بن كثير؛ قال: قدم رجل من المدينة علىٰ أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديثٌ بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ. قال: أما جئت لحاجةٍ؟ قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.

=

بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]. إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

=

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله به طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتىٰ الحِيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافرٍ**».

أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وهو حديث صحيح، كما ذكر ذلك الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» رقم (٢٦٨٢)، وأشار إليه أيضًا في «صحيح ابن ماجة» رقم (٢٢٣)؛ وانظره في «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٨) (٧٠).

وقال الرسول ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا**»، رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه، إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ فضل العلم وأهله، وما أحسن قول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله حين قال:

يـا طالـبَ العلـم لا تَبْـغ بـه بـدلا ... فقد ظفرتَ وربِّ اللَّوْح والقَلَـمِ

وقَدِّس العلمَ واعـرف قَـدْرَ حُرمته ... في القول والفعل والآداب فَالْتزِمِ

فاجتهد -يا طالب العلم- في تحصيل العلم الشرعي، وخذه من أفواه الشيوخ السائرين علىٰ نهج السلف، ولا تنسَ أن تُخلِص في ذلك لله ربك، عالم الغيب والشهادة؛ زادك الله علمًا وتقًىٰ لله رب البريات.

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

التعليق

إنَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ عاش في القرن الثَّاني عشر، وعاش في زمنٍ انتشر فيه الشِّرْك الأكبر؛ وهي عبادة القبور وغيرها مِمَّا يُتَّخذُ آلهةً، فأنكر عليهم ودعاهم إلىٰ التَّوْحيد، وإلىٰ العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الَّتي مضىٰ عليها إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، فَلمَّا أعلن فيهم إنكار الشِّرْك عَادَوْه وآذَوْه، وزعموا

(١) وإليك -أخي القارئ الكريم- مُلخَّصًا عن عقيدة المسلم (المنهج السلفي) التي يجب أن يَدِينَ العبد بها ربَّه ليجد جزاء ذلك يوم يلقاه، والتي ذكرها شيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي في كتابه «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (١/ ٨٥- ٨٧)، وهو إجابة عن سؤالٍ وَرَدَ عليه يسأل فيه السائل الشيخ عن ذلك، وعن التعريف بغيرها، فارجع إليه؛ زادك الله توفيقًا وعلمًا.
(المنهج السلفي):
١- أن ندين لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد، فلا ندعو أحدًا سواه، ولا نلتجئ إلىٰ أحد غيره؛ في جلب نفع أو دفع ضر، وأن نتعبد ببغض المشركين، وعداوتهم؛ إلا أنه يجب علينا أن ندعوهم أولًا =

=

إلىٰ التوحيد، ونبين لهم أنه لا إسلام بدون توحيدٍ، وأن مَنْ دعا إلهًا غير الله كفر، فمن أصر بعد ذلك فإنه يجب علينا البعد عنه، وبغضه لله ﷻ.

٢- عقيدة السلف تنبني علىٰ أن يُوصف الله ﷻ بما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ، ولا تمثيل، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تأويل.

٣- نثبت لله الأسماء الحسنىٰ التي أثبتها لنفسه، ومدح نفسه بها؛ سواء كانت واردة في الكتاب أو السُّنَّة.

٤- نؤمن بأنه لا وصول إلىٰ رضا الله، ولا إلىٰ الجنة إلا من طريق رسول الله ﷺ، وأمَّا من طلب الوصول إلىٰ رضا الله من غير طريق رسوله ﷺ فإنه قد ضلَّ، وعمي عن الحق، وخسر دنياه وآخرته.

٥- نؤمن بأن شرع الله تعالىٰ هو ما جاء من طريق الوحيين: كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ؛ وإلىٰ ذلك أشار ربُّنا بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

٦- أن نعتقد بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، والسُّنَّة هي المُبيِّنة له، ويفسر القرآن بالسُّنَّة وبتفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ رضي الله عنهم، فالتفسير للقرآن يكون بالأثر، أي: من طريق الصحابة والتابعين، وبالأحاديث الموصلة إلىٰ ذلك. والكتب التي تحوي ذلك هي التي يجب اقتناؤها وقراءتها كـ: «تفسير ابن جرير»، و«تفسير البغوي» و«تفسير الدر المنثور» للسيوطي، وأمثال ذلك.

٧- يجب أن نأخذ السُّنَّة علىٰ طريقة المحدثين؛ في التصحيح والتضعيف، فنأخذ ما صحَّ، ونترك الضعيف.

٨- ندين لله ﷻ بطاعة ولاة الأمر في المعروف، إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، ما داموا مسلمين يحكِّمون شرع الله، ويقيمون حدود الله، وما داموا يقيمون الصلاة، وأن طاعتهم واجبة، وإن جاروا، وأن من قال خلاف ذلك، وأجاز الخروج علىٰ الإمام المسلم وإنْ كان جائرًا، فهو مبتدعٌ ضالٌّ يجب علىٰ علماء المسلمين أن يردوا عليه قوله، ويبينوا ضلاله.

٩- أنه لا يجوز نشر مثالب ولاة الأمور؛ لأن في ذلك إثارةً للفتن، وتسببًا لوقوعها وإشاعتها.

=

أنَّه زنديقٌ خارجيٌّ يُكفِّر المسلمين بدون موجبٍ للتَّكْفير، وهو إنَّما كَفَّر مَنْ دعا غير الله معتقدًا فيه جَلْب النَّفْع، ودَفْع الضُّرِّ، ولم يكفر هؤلاء إلَّا بعد إقامة الحُجَّة عليهم.

□ فكان أهل العلم في زمانه قسمين:

١- قسم عَادَوْه وآذَوْه وأَفْتَوا بكفره، وهم الأكثرون، وهم الَّذين عبَّر عنهم بقوله: «**وبيان مَنْ تَشبَّه بهم وليس منهم**»، وهؤلاء أخبارهم مُفصَّلةٌ في الكُتُب الَّتي ذُكرت فيها سيرة الشَّيْخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك تاريخ الدَّولة السَّعوديَّة إبَّان نشأتها.

وقَدْ صَوَّر الشَّيخ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ما جرىٰ للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ بحسب ما وصل إليه من أخبارٍ، وذلك من خلال قصيدته الَّتي بعث بها إليه في الدرعية سنة ١١٦٣هـ.

=

١٠- يجب أن ندين لله عَزَّوَجَلَّ بالسُّنَّة، ونتبعها، ونمقت البدع والمبتدعين؛ لقوله ﷺ: «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»؛ وفي روايةٍ: «**مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

هذه خلاصة وكلمات موجزة من عقيدة السلف يجب أن نأخذ بها وأن نسير عليها إن كنا نريد النجاة ونريد الحق.

ويجب علينا أن ننبذ أقوال الرجال التي لا تستند إلىٰ دليلٍ، فالرجال يُعرفون بالحق، وليس الحق يُعرف بالرجال.

وأخيرًا: يجب علينا أن نضرع إلىٰ الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد خير الخليقة وأتقاها وأبرها، وأزكاها، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ومِمَّا قال في مُقدِّمتها النَّثريَّة: لمَّا طارت الأخبار بظهور عَالِمٍ في نجد يُقال له: مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، ووصل إلينا بعضُ تلاميذه، وأخبرونا عن حقائق أحواله وتشميره في التَّقْوىٰ، وفي النَّهْي عن المنكر والأمر بالمعروف، فاشتاقت النَّفْس إلىٰ مُكَاتبتِهِ بهذه الأبيات، وهذا أنقله من كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة» (ص٤٧٧) للشَّيْخ عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش، قال:

لقد أنكرت كلُّ الطَّوائف قولَه ... بلا صدرٍ في الحقِّ منهم ولا وردِ
وما كلُّ قولٍ بالقبول مُقَابَلٌ ... ولا كلُّ قولٍ واجب الرَّدِّ والطردِ
سوى ما أتى عن ربِّنا ورسولِهِ ... فذلك قولٌ جلَّ قدرًا عن الرَّدِّ
وأما أقاويل الرِّجال فإنَّها ... تدور على قدرِ الأدلة في النَّقْدِ

وأقول: كلُّ طوائف البدع قَدْ أنكروا قوله؛ لأنَّ دعوته سَلفيَّةٌ بحتةٌ تقوم علىٰ الأدلَّة من كتاب الله، وصحيح سُنَّة رسول الله ﷺ وعلىٰ فَهْم السَّلَف الصَّالح، ولذلك فإنَّ دعوته تهدم الخرافة الَّتي قامت عليها عقيدة الصُّوفيَّة، وعبادة القبور، وتأبىٰ التَّعْطيل الَّذي قامت عليه عقيدة الجهميَّة، وتأبىٰ تأمير العقول علىٰ النُّصُوص، فما قَبِلتْهُ منها أُخِذَ، وما لم تَقْبَله منها رُدَّ؛ وهو الَّذي قامت عليه عقيدة المعتزلة، وتأبىٰ تأويل نُصُوص الصِّفات الَّذي يُؤدِّي إلىٰ تعطيلها، وهو الَّذي قامت عليه عقيدة الأشعريَّة؛ لذلك فقَدْ أنكرت دعوته هذه الفئات كلُّها مع أتباعهم من العوامِّ، ومُعْظَمُهم رَمَوْهُ بالكفر والزَّنْدقة.

٢- قسمٌ لم يقبل دعوته رَحِمَهُ اللَّهُ منهم إلَّا القليل، أو أقلُّ القليل من العلماء، وهم الَّذين لهم إلمامٌ بالنُّصُوص الشَّرعيَّة وبسيرة النَّبيِّ ﷺ، وما كان عليه السَّلَف الصَّالح في زمن الخلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهتدون؛ ومن هؤلاء الأفذاذ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، صاحب «سبل السلام»، و«تطهير الاعتقاد» الَّذي أنكر عقائد المبتدعة في ذلك الزَّمان.

قال الشَّيخ عبد الله أبو داهش: وقَدْ مضىٰ الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في بَسْط حديثه عن أحوال النَّاس عند ظهور دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فأشار إلىٰ البدع الضَّالَّة والمعتقدات الباطلة الَّتي كانت منتشرةً في رُبُوع الإسلام عندئذٍ، قال:

أعـاد بهـا معنـى سُـوَاعَ ومثْلَـه ... يَعُـوقَ ووَدٍّ بـئسَ ذلـكَ مـن وُدِّ
وقَـدْ هَتَفـوا عنـد الـشَّدائدِ باسْـمِها ... كمـا يهتِـفُ المـضطرُّ بالـصَّمدِ الفـردِ
وكَـمْ عَقَـروا في سُـوحِها مـن عقيـرةٍ ... أُهِلَّـت لغيـر الله جهـرًا علـى عمـدِ
وكَـمْ طـائفٍ حـول القبـور مقبِّـلٍ ... ومـستلم الأركـانَ مـنهنَّ بالأيـدي
لقَـدْ سـرَّني مـا جـاءني مـن طريقـه ... وكنت أرى هذي الطَّريقة لي وحدي

إلى أن قال:

وهذا اغتـرابُ الـدِّين فاصبر فـإنَّني ... غريـبٌ وأعـدائي كثيـرٌ بـلا عـدِّ

□ **وبالجملة:** فإنَّ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يفرِّقَ بين أهل العلم والفقه في الدِّين، وبين المُتسمِّين بالعلم والفقه، وليسوا أهلًا لذلك، فإنَّهم

ينبذون مَنْ جاء بالحقِّ بألقابٍ كاذبةٍ، ويصفونه بأوصافٍ خاطئةٍ، فيقولون: مجنونٌ أو زنديقٌ أو غير ذلك، كما قال المشركون للنَّبيِّ ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢، ٥٣].

۞ **قَولُه**: «**ثمَّ صار هذا أغرب الأشياء**»؛ أي: اتِّباع الكتاب والسُّنَّة، صار هو أغرب الأشياء «**فصار العلم والفقه هو البدع والضَّلالات، وخيار ما عندهم لبس الحقِّ بالباطل**»؛ وذلك أنَّه كان في زمنه مَنْ ردَّ عليه وعاداه، وزعموا أنَّه خارجيٌّ، وسَمَّوه هو وأصحابه خوارج، وزعموا أنَّه هو المقصود بقول النَّبيِّ ﷺ: «**رأس الكفر نحو المشرق**»[1]، وهذا زعمٌ باطلٌ، وإنَّما المقصود به الإلحاد والاشتراكيَّة الَّتي دعت إليها الدُّول الإلحاديَّة كروسيا وأتباعها في الاعتقاد والفِكْر، وحاربت الشَّرائع كلَّها، وعلىٰ رأسها شريعة الإسلام؛ بل حاربت كلَّ مظاهر الدِّين الإسلاميِّ كالحجاب، واللِّحية، واعتياد إتيان المساجد، فعليهم لعائن الله، وموجبات غضبه.

والمُهِمُّ: أنَّ علماء ذلك الزَّمن حَمَلوا الحديث علىٰ أنَّه إشارةٌ إلىٰ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ مع أنَّ دعوة الشَّيخ هي إحياءٌ لدعوة التَّوْحيد الَّتي بُعث بها النَّبيُّ ﷺ وكلُّ نبيٍّ.

وبالله التَّوفيق.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأصل الخامس
بيان الله لأوليائه

□ **الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ[1]، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ

(١) **قال شيخنا أحمد النجمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الولي: هو مَنْ والىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصدَّق خبره، ووالىٰ مَنْ والاه الله، وعادىٰ مَنْ عاداه الله؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]».

الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُمْ.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُمْ، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

التعليق

هـذا الأصـل ركَّز فيه شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الصُّوفيَّة[1] الَّذين يزعمون أنَّ الأولياء هم الَّذين يظهرون بالأحوال،

(١) **قال الدكتور غالب بن علي عواجي**: «اختلفت كلمةُ العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافًا كثيرًا...، ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها؛ فإنَّها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها، مما يَستدعي الحال غَض النظر عن تلك التعريفات كلها، وإلقاء الضوء علىٰ الأقرب منها.

ثم ساق تعريفها في اللغة، وبَيَّن أنها مأخوذة من مادة (صوف)، وأنها قد جاءت علىٰ عِدَّة مَعَان؛ فتُطلق ويُراد بها: الصوف المعروف من شعر الحيوانات، وتطلق كلمة (صوف) علىٰ المَيْل، فيقال: صَافَ السَّهم عن الهدف، بمعنىٰ: مال عنه، وصافَ عن الشرِّ، أي: عَدَل عنه، إلىٰ غير ذلك من معاني الصوفية في اللغة.

وأوضح أنَّ لها عدة تعريفات اصطلاحية؛ اختلفت باختلاف مراحلها التي مَرَّت بها، وقال: إنه مهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف، فإنه يصدق عليه عمومًا أنه بدعة محدثة في الدين، وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان.

=

والكرامات، وتبدو منهم الشَّطحات، فزعموا أنَّ الشَّيخ هو مَنْ تقرَّب بالقرب من الله إلىٰ أن يصل إلىٰ درجةٍ تسقط عنه فيها التَّكاليف، فيشرب الخمر فتنقلب في فمه لبنًا؛ وإذا زنىٰ بامرأةٍ: قالوا: إنَّما أفاض عليها من نورِهِ.

ومَنْ أراد أن يعرف ما عليه الصُّوفيَّة من الشطح، والكفر، والادِّعاءات العريضة لحقوق الله ﷻ غيرَ مُبَالين ولا مُكترثين، فليرجع إلىٰ كتاب: «الكشف عن الصوفية لأول مرة»، وكتاب: «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل.

بل إنَّهم يجعلون ذلك فخرًا لهم، وإنَّهم قَدْ بلغوا إلىٰ مرتبةٍ لم يبلُغها غيرهم، وإنَّ الشَّيخ هو الَّذي يرىٰ الله عيانًا! ويَتحدَّث معه! ويَلْقىٰ النَّبيَّ ﷺ وما أشبه ذلك من الادِّعاءات الَّتي لعب بهم الشَّيطان فيها، فأضلَّهم عن الطَّريق المستقيم، فأخرجهم إلىٰ طريقة أصحاب الجحيم، فهم يزعمون أنَّ هؤلاء هم أولياء الله ليس غيرهم؛ أمَّا مَنِ اتَّبع الكتاب والسُّنَّة وعُني بالحديث والآثار، وتَكلَّم في الفقه، وأمر بالاستقامة علىٰ شرع الله، فهؤلاء يُسَمَّون أهل الظَّاهر.

=

ثم ذكر أن من أبرز تعريفاتها:

١- **التصوف**: هو تجريد العمل لله تعالىٰ، والزهد في الدنيا، وترك دواعي الشهرة، والميل إلىٰ التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس.

٢- **قيل**: إن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم: إنما كان نسبةً إلىٰ لبسهم الصوف الذي يُعبر عن الزهد والتقشف، وترك التنعم والملذات المباحة... إلىٰ غير ذلك من التعريفات التي ذكرها في كتابه. انظر «فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام» (ص٥٧٨ وما بعدها) بتصرف.

وشيوخ الصُّوفيَّة عندهم أهل الباطن، بل إنَّهم حقيقةً هم أهل الباطل؛ بدل النون: لامًا؛ فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يشكو من أهل زمانه؛ لأنَّهم يجعلون أولياء الله مَنْ هم أعداءٌ لله وحاربوه أشدَّ المحاربة.

ولكن هل القولُ قولهم، والاعتقاد اعتقادهم؟ الجواب: لا.

ولكن حقيقة الوليِّ: هو مَنْ يُعظِّم كتاب الله، ويُعظِّم سُنَّة رسول الله ﷺ ويَتَّبع الرَّسول ﷺ في كلِّ قولٍ وفعلٍ، وفي كلِّ أمرٍ واعتقادٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

أي: الَّذين آمنوا بالله، وكانوا يَتَّقون الله، ويفعلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويؤمنون بالله، ويؤمنون بوعده ووعيده، وبعثه ولقائه، وجَنَّته وناره، ويجاهدون في سبيل ذلك بألسنتهم، وأقلامهم، وسُيُوفهم، هؤلاء هم الأولياء.

ولقَدْ أوضح الفروقَ بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيْطان شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المُسمَّىٰ بـ: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»؛ ألا إنَّ أولياء الله هم أهل الحديث، ومتَّبعو الآثار، المُدوِّنون لها، والعاكفون علىٰ حِفْظها وتدوينها، والعمل بها، والدَّعوة إليها! هؤلاء هم أولياء الله! فإيَّاك أن تُخْدَعَ، وأَنْ يَجْتاحَك الكذَّابون أصحاب الادِّعاءات الكاذبة، وبالله التَّوفيق.

الأصل السادس
الرد على شبهة أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق

◻ الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ[1] الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ

(١) الشبهة كما ذكرها الجرجاني في كتاب «التعريفات» (ص١٦٥): «إنها في الأصل هي: ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا».اهـ.
وتطلق هنا ويراد بها: جعل الباطل في صورة الحق، وهذه حُجَّة كل مُبطل من شياطين الإنس والجن، إذ إن من الذنوب ما هي شهوات، ومنها ما هي شبهات.
فالشهوات أعني بها: فعل الأشياء المُحرَّمة المعلومة من الدين بالضرورة؛ كتحريم شرب الخمر، وفعل الزنىٰ واللواط أو التهاون بالصلاة، أو بغير ذلك من المعاصي، وهي التي قال الله فيها: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم:٥٩، ٦٠].
وأما الشبهات: فهي التي يُوردها أعداء الدين علىٰ بعض المسلمين لتزيين باطلهم من بدعٍ وكفرياتٍ، أو بغير ذلك من المعاصي التي دون ذلك، وإلقاء المتشابه من القول علىٰ بعض المسلمين؛ ليقعوا فيما دَعَوْا إليه من الضلال.
دلَّ علىٰ ما قلناه من الحذر من الشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام علىٰ بعض المسلمين ما ورد في «مسند الإمام أحمد»، وأبي داود -واللفظ له- بإسنادٍ صحيح؛ صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (رقم ٥٤٨٨) من حديث عمران بن حصين يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع بالدجال فَلْيَنْأ عنه؛ فوالله، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات -أو- لِمَا يبعث به من الشبهات**».
ومن تلك الشبهات ما أورده أعداء التوحيد في هذا الأصل من الدعوة إلىٰ ترك العمل بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ بحجة أن القرآن والسُّنَّة لا يعرفهما ولا يفهمهما إلا المجتهد المطلق.
كما سيبين بطلان مقالتهم هذه شيخُنا أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلم.

وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ[1] المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١][2].

(١) قد بيَّن فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه علىٰ هذه الأصول الستة (ص١٨١) طبعة دار الثريا، تعريف الاجتهاد، فقال: «**الاجتهاد في اللغة**: بذل الجهد لإدراك أمرٍ شاقٍّ.

واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حكمٍ شرعيٍّ»؛ ثم سأذكر لك -أخي القارئ الكريم- تعريف المجتهد المطلق أو بمعنىٰ آخر: هو المفتي، فقد قال في ذلك الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري في كتاب «تنبيه ذوي العقول السليمة» (ص٧٥): «المجتهد المطلق: هو العالم الذي يَستفرغ وُسعه بالنظر في الأدلة حتىٰ يحصل له الظن الغالب، أو القطع بحكم شرعي، وهو الذي يبحث عن الحق بدليله».اهـ.

(٢) ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية: العذاب، و﴿أَكْثَرِهِمْ﴾، أي: كفار العرب الذين ماتوا علىٰ الكفر.

=

آخِرُهُ، وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

التعليق

۞ **قَولُه** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأصل السادس: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوْصَافٌ لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا**»:

أقول: إنَّ هذه الشُّبْهَةَ شبهةٌ شَيْطانيَّةٌ تَوصَّل بها الشَّيْطان إلىٰ تعطيل الكتاب والسُّنَّة، وصرف الفهم عنها صرفًا كلِّيًّا، وإنَّ هذا لَصَدٌّ عن سبيل الله، وتكذيبٌ لكتاب الله، حيث يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢].

=

الأغلال: القُيود التي تُشَدُّ بها أيديهم إلىٰ أعناقهم.

﴿مُّقْمَحُونَ﴾: رافعو رؤوسهم، غاضو أبصارهم يوم القيامة، وهم في النار.

فالله تعالىٰ يقول -إخبارًا عن نفسه- بأنَّه يسَّر القرآن للذِّكْر، وأكَّد ذلك الخبر باللَّام المُوطِّئة للقَسَم، وهؤلاء يقولون: إنَّ فَهْم القرآنِ والسُّنَّة مستحيلٌ، وغير ممكنٍ إلَّا للمجتهد المُطلق الَّذي يشترطون فيه:

١- أن يكون قَدْ حفظ علىٰ الأقلِّ مئة ألف حديثٍ عن ظهر قلبٍ.

٢- حفظ القرآن، وما قيل فيه من التَّفاسير.

٣- حفظ الأقوال الفقهيَّة بأدلَّتها إلىٰ غير ذلك، وما هذه إلَّا مناقضةٌ لما أخبر الله به عَمَّا جعله في كتابه من اليُسر للقارئين، والمُتفقِّهين، والمُتعلِّمين.

وقال جل من قائل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

فأخبر الله تعالىٰ أنَّه أنزل علىٰ رسول الله ﷺ القرآن ليُبيِّنه الرَّسول ﷺ بأقواله، وأفعاله، وتشريعاته الَّتي هي ترجمةٌ للقرآن، فهل أمَرَ رسول الله ﷺ بمستحيلٍ؟

حاشا وكلَّا!

وإنَّما أمرُهُ ممكنٌ، وقَدْ قال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].

فكيف يكون بيانًا وهو مستحيل الفهم؟!

ما هذه إلَّا فِرْيةٌ شَيْطانيَّةٌ أراد بها الشَّيطان صَرْف العقول عن التَّفكُّر في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤١].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: نوَّعناه، وبيَّنَّاه؛ فمنه الأحكام، ومنه الأوامر، ومنه النَّواهي، ومنه القصص لأمورٍ قَدْ مَضَتْ، ومنه الإخبار بالغيبيَّات الَّتي ستأتي، ومنه المواعظ، ووصف الجنَّة والنَّار، وأوصاف المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وما أعدَّه الله لهؤلاء وهؤلاء، كلُّ ذلك قَدْ ورد في القرآن بالإضافة إلىٰ ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلا، وعمَّا له من الكمالات الَّتي لا تبلغ العقول وصفها؛ جلَّ شأنُهُ، وتَعَالتْ صفاته، وتقدَّست أسماؤه.

فهل القرآن لم يَنزل إلَّا ليُتلىٰ في المآتم فقط، غير مُتَّخذِينه شرعًا، ولا آخذين منه الهداية والأحكام؟!

إنَّ هذا لهو الضَّلال البعيد! وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقَالتي فوعَاهَا، وأدَّاها لمَنْ لم يَسْمَعْهَا، فرُبَّ مبلغٍ أوْعَىٰ له مِن سامعٍ**»(١).

وفِي روايةٍ: «**نضَّر الله امرأً سَمِع مقَالَتِي فوَعَاهَا، وأدَّاها إلىٰ مَنْ لم يَسْمَعها، فرُبَّ حامِل فِقْهٍ غَيْر فقيهٍ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلىٰ مَنْ هو أفْقَه مِنْه**»(٢).

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٧١) (٦٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التعليقات الحسان» (٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٤٠٤).

وقال ﷺ: «**ألا ليُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوْعَىٰ مِنْ سامعٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتعمِّدًا، فليتبوَّأ مقعده مِن النَّار**»(٢).

فهل أمْرُ الله ورسوله بحفظ القرآن والسُّنَّة، وتبليغهما يُعَدُّ عَبَثًا؟ إذا قلنا إنَّه لا يمكن للإنسان المُتعلِّم أو العالم أَنْ يفهم معاني كتاب الله، ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ، هل أَمَرَ الله عباده بالمستحيل حين قال: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]؟!

لقَدْ بلَغَ الشَّيطان أُمنيَّته بهذه الشُّبهة حين صرف بها النَّاس عن كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، بل إنَّه لم يُصِبِ الشَّيطان من أهل العلم بمثل هذه الشُّبهة؛ حين صرفهم عن شرع الله؛ تعلُّمًا وتعليمًا واجتهادًا واستنباطًا، بل وجعل ذلك - أي: البحث عن معاني كتاب الله ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ والاجتهاد في الاستنباط منهما- جعل ذلك ضَرْبًا من الجنون، ونوعًا من الزَّنْدقة.

بل قال لأولئك القوم الَّذين قالوا هذه المقالة: إنَّه لا بدَّ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُقلِّد إمامًا من الأئمَّة الأربعة لا يخرج عن أقواله وآرائه واجتهاداته، ولا يجوز له إذا قلَّد ذلك الإمام أن يَحِيد عن رأيه، ولو قَدْرَ أُنْمُلَةٍ؛ بل إنَّه يجب عليه ألَّا يُقلِّدَ أحدًا غيره، وإذا وجد الدَّليل خلاف قول إمامه، فليؤول الدَّليل

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

حتَّىٰ يتناسب مع قول إمامه؛ لأنَّه زعم لإمامه الحَصَانةَ عن الخطأ؛ وإنَّه لا يتصوَّر منه وقوع الخطأ.

بل كادوا أن يُصرِّحوا بعصمة أَئمَّتهم، وكلٌّ منهم يعتقد في إمامه العصمة، وأنَّ قوله هو الحقُّ وإِنْ خالف الدَّليلَ، وإذا رأيته يخالف الدَّليلَ، فاتَّهِمْ عقلك! واتَّهِمْ رأيك! واجعل قول الإمام في حصانةٍ عن الخطأ والبطلان.

يا لها من كارثةٍ! أدَّت بأصحاب هذه المذاهب أن يختلفوا اختلافًا أدَّىٰ إلىٰ الفُرْقة والتَّباغض والتَّعادي والتَّناحر، بل كلُّ أهلِ مذهبٍ يُضلِّلون الآخرين في أقوالهم أو بعض أقوالهم مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَلُمْ أحدًا علىٰ الاجتهادات الَّتي تكون من النَّاس المُؤهَّلين في اللُّغة والقواعد حين قال: «**لا يُصَلينَّ أحدٌ العصر إلَّا في بني قريظة**»[1].

فَاجْتَهد قومٌ وصلَّوا قبل وصولهم، وقالوا: إنَّما أراد الحثَّ والتَّعْجيلَ بالسَّيْر، فإذا كُنَّا قَدْ بلغنا جُهدنا ودخل وقت العصر قبل أن نصل إلىٰ بني قريظة، فنحن نُصلِّي الصَّلاة لوقتها، ونحمل قوله ﷺ هذا علىٰ أنه إنما أراد الإسراع في الذهاب؛ والتزم قومٌ باللَّفظ، فأخَّروا صلاة العصر حتَّىٰ وصلوا إلىٰ بني قريظة، وقَدْ فات وقت العصر، فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك ولم يُعنِّف أحدًا منهم، ولا قال لأحدٍ منهم: أنت أخطأت!

يا سبحان الله! لماذا خَلَق الله لنا العقول؟!

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أليس خلقها لنا لنفكِّر بها، ونتفكَّر في آياته القرآنيَّة، ونتفكَّر في آياته الكونيَّة؟!

هذا هو الغرض الَّذي خلق الله لنا العقول من أجله؛ بل ذمَّ الله النَّاس الَّذين لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٢-٢٤].

وأخيرًا: فإنَّ القرآن مليءٌ بالرَّدِّ علىٰ هذه الشُّبهة، والسُّنَّة مليئةٌ بالرَّدِّ عليها، ولكن ماذا نقول إذا كان أهل العلم -الَّذين يُظنُّ بأنَّهم سَيردُّون علىٰ هذه الشُّبْهة، ويُبطلونها بالأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله- هم الَّذين قرَّروها! وانْبَرَوْا لمحاربة مَنْ ردَّها، واتِّهامه بالزَّندقة! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.